الشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري- بين اللغة و الموضوعات-

Popular poetry in southwestern Algeria - between language and themes -

*- أ.د مزوري مومن

*- مخبر الدراسات الصحراوية

*- جامعة طاهري محمد - بشار - الجزائر

* m.mazouri@yahoo.com

تاريخ الإرسال:2025/05/04 تاريخ القبول: 2025/06/04

الملخص:

إن الشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري استطاع أن يطرق أغلب الموضوعات التي تخطر على البال. لقد تناول موضوعات جادة تتعلق بالتاريخ الجزائري والمقاومة والثورة التحريرية، والقضايا السياسية، والأمور الاجتماعية المتعلقة بالأفراد والعائلات والقبائل والآفات الاجتماعية، والخصومات، كما تناول أمورا بسيطة واستطاع أن يقدمها في حلة فنية راقية.

إن هذا النوع من الشعر لا ينفك يجاري الشعر العربي الفصيح في الاعتناء بموسيقى الشعر، معتمدا على طبيعة الكلمة العربية ومدى صوتية الحرف فيها، وقدرة هذه الحروف في حالة تركيبها على خلق نموذج موسيقي يعطي للغة مدلولها الصوتي.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الشعبي، اللغة، الموضوعات، الإيقاع.

Abstract:

Popular poetry in southwestern Algeria has been able to address nearly every theme that might come to mind. It has engaged with serious subjects connected to Algerian history, resistance, and the war of liberation, as well as political issues, social matters concerning individuals, families, and tribes, social afflictions, and disputes. At the same time, it has also dealt with simple matters, presenting them in an elevated artistic form.

This type of poetry continues to parallel classical Arabic poetry in its attention to musicality, drawing on the nature of the Arabic word, the phonetic resonance of its letters, and the ability of these letters, when combined, to create a musical pattern that endows the language with its distinctive acoustic value.

Keywords: poetry, popular, language, themes, rhythm.

مدخل:

إن الأدب الشعبي جزء أساسي من التراث الجزائري، لهذا فإنه يستحيل أن نبني أدبا جزائريا أصيلا و مؤسسا على رؤية فلسفية اختصت بها الذات الجزائرية منذ القدم دون المرور على الشعر الشعبي ، لأنه يشكل القاعدة الصلبة للذات الجزائرية . فهو يمثل ورقة من أهم الأوراق في ميدان البحث والدراسة ، ولذلك فإن عين الحكمة والصواب في أن يعطى له ما يستحق من التقدير و الاهتمام ، حتى نتمكن من أن نجنبه تلك النظرة القاصرة المتوقفة عند حدود اعتباره جزءا من الفلكلور الذي لا يتخذ إلا للإمتاع في المناسبات، وأول خطوة لابد من القيام بها ، هي عملية الجمع و التدوين التي تسهل للباحثين والدارسين عملهم ، إذ تصبح المادة قريبة متوفرة.

يشكل الشعر الشعبي مدار اهتمام سكان منطقة الجنوب الغربي الجزائري. فهو زادهم الأول في ميدان حياتهم الثقافية. ينظمه الشعراء ويلقونه في المناسبات، وفي غير المناسبات، فيستمع إليهم الحضور ويتذوقونه، ويعبرون عن إعجابهم بالقصائد. ثم يتناقلها الرواة هنا وهناك إلى أن تصير محفوظة لدى الجميع، حتى النساء والأطفال. كما يغنون تلك القصائد وفق الفنيات المتعارف عليها بينهم.

يحظى الشاعر عند سكان الجنوب الغربي الجزائري، وخاصة في البادية والأرياف، بالتقدير والاحترام والتبجيل، ويفتخر به ذووه، ويهابه الناس، ويتجنبون إغضابه خوفا من الهجاء أو ما يسمونه (المعير) الذي يعتقدونه مؤذيا. هذا وقد شجعت المكانة المرموقة للشاعر الشباب على حفظ الشعر وروايته ومحاولة نظمه، وكان هذا سببا في تواصل جيل الشعراء.

تكمن أهمية هذا الموضوع في كونه يعرف بطبيعة الشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري، كنوع من الأدب الشعبي الجزائري العام. أما أهدافه فتتلخص في الوقوف على أهمية الشعر الشعبي في المجتمع ، وأهدافه النبيلة في الإصلاح ونشدان الخير للمجتمع والبلاد. وتسليط الضوء على السلبيات لتفاديها ومواجهتها للحفاظ على مجتمع سوي وصالح، طاهر من الآفات والعيوب. كما يبرز المكانة المرموقة التي يتمتع بها الشاعر الشعبي في المجتمع لما له من رجاحة عقل وحكمة وإخلاص للشعب والوطن. وفوق هذا لما يحققه من

تثقيف للمجتمع، وتحقيق للمتعة الفنية التي تتميز بها النصوص الشعرية، سواء على مستوى اللغة والتصوير والإيقاع.

أما محاور هذا البحث فهي:

1- لغة الشعر الشعبي تتماهى مع الموضوعات
2- موضوعات الشعر الشعبي
3- الإيقاع في الشعر الشعبي

1- لغة الشعر الشعبي تتماهى مع الموضوعات:

لقد ربط بعض الباحثين تطور اللغة عند أمة من الأمم أو مجتمع من المجتمعات بمكانتها العلمية ورقيها الحضاري. ورغم أن هذا أمر صحيح لا يختلف فيه اثنان، إلا أن البعض اعتبر بساطة اللغة سمة سلبية ودلالة من دلالات التخلف. بل لقد ذهب الأمر بعلي جواد الطاهر إلى اعتبارها من سمات المجتمعات المتخلفة، وذهب به الحد إلى نعتها بالبدائية، وهي ما سماها اللغة الفطرية ذات المفردات والتراكيب المحدودة، ثم تنمو وتتعقد بنمو المجتمع وازدياد حضارته وتكاثر دواعيه إليها. ويجب في نظره أن تكون لغة الأديب والشاعر على مستوى عال من الغزارة والتعقيد، وهكذا يطلب منه أن يكون أعلى من المستويات اللغوية التي تحيط به[1].

حقا أن لغة الشاعر لابد أن تسمو عن لغة العامة، وهذا لا يطلب من شاعر الفصحى فقط، بل إن الشاعر الشعبي معني بذلك هو أيضا. ولقد ألفيته على قدر مهم من الدراية بذلك، مدركا لهذه الخاصية ومتفهما لهذا الشرط من وجوب التميز، الذي يرفعه عن غيره في ميدان الفنية والابداع. كما أن بساطة اللغة ليست كما يتوهم البعض، فيظن أن هذا الاصطلاح ينطبق تماما على تلك اللغة التي لبس رداءها الأدب الشعبي عموما والشعر منه على وجه الخصوص، بل إن البساطة التي أجدها سلبية، ويمكن لي أن أراها عيبا في ميدان النظم وقرض الشعر هي ذلك الضعف المشين الذي يعتري التركيب البنائي للنص الشعري، وإلا فما فائدة حشد من الألفاظ الجزلة في تركيب صبياني؟

إن المجتمعات العربية على العموم، والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص قد عاش فترة زمنية - قد تقصر أو تطول- تحت سيطرة الاستعمار، مما جعل هذه الشعوب العربية تدخل سياج الأمية والجهل، وتبتعد عن لغتها بنسب متفاوتة، حسب طبيعة كل

استعمار، ومدة بقائه على الأرض المستعمرة. وعليه فإن القضية اليوم هي "قضية تقريب الفن من أذواق جمهور الشعب، وهذا تنقصه الثقافة العربية العالية، فمن الظلم أن نتركه في جهله وتأخره. والسبيل الوحيد لتثقيفه ورفع مستواه اللغوي والفكري هو أن نخاطبه بلغته كلما دعت الضرورة إلى ذلك.[2]

إن قضية جمالية اللغة وشاعريتها لا ترتبط فقط بإشكالية اللفظ، وإنما بالتركيب اللغوي الذي يجب أن يساير عصره، وينشغل بقضاياه، ويعرف ما الذي يجب أن يتحدث عنه، وأن يطرقه من موضوعات تشغل اهتمام أفراد المجتمع، أو يستحبون سماعها وينجذبون إلى الإصغاء إلى ما يقال عنها. أو كما قال عز الدين منصور: "لا تكون اللغة شعرية بحق إلا عندما تكون نابضة بروح العصر... إن استكشاف لغة جديدة للعصر تكاد تكون خلقا لهذه اللغة."[3]

لقد انتقلت اللغة العربية في الربع الأول من القرن العشرين "نقلة عملاقة إلى التعبير العصري السهل، وهذه النقلة هي التي مهدت لخطوات أخرى أعقبتها، ومنها ميل بعض الشعراء والكتاب إلى استعمال اللغة العامية في أعمالهم الأدبية"[4] وهو نوع من التداخل والتماس بين الأدب الفصيح والأدب الشعبي. وهكذا يكون هذا التطور قد تعدى الأدب الفصيح وقفز على عتبته ليغذي الأدب الشعبي بشيء منه، ولينال الشعر الملحون أيضا نصيبه منه. ولهذا اعتبرت الإبلاغية الحديثة أن التعبير اللغوي تميز في بداياته بالفطرية وبنوع من البساطة الطبيعية، التي تبتعد عن الغرابة والتعقيد. ذلك لأن التعبير اللغوي نفسه كان ثمرة وتتويجا لسعي الإنسان المتواصل إلى معرفة ما يدور حوله ورغبته الجانحة في الاطلاع والمعرفة واكتشاف ما يجد من ظواهر وحركات في الطبيعة. وهكذا كان هذا المخلوق يبذل قصارى جهده لأجل إيجاد التعبير اللغوي الذي يمكنه من تملك المحيط. وفي الأخير استطاع ببدائيته تلك أن يوجد مجموعة من الإشارات شكلت إلى بعضها البعض قاموسه اللغوي.[5] وهكذا تكونت اللغة البسيطة التقريرية والتصويرية للمحيط. ومن هذا الوضع استمدت لغة العامة بساطتها وتقريريتها في ارتباطها بمحيطها وبيئتها ومجتمعها، وفي ارتباطها بقضايا المجتمع وانشغالاته واهتماماته وموضوعاته. فكانت لغة منسجمة مع الأغراض الشعرية التي تميز بها الشعر الشعبي، ومتماهية مع الموضوعات التي طرقها الشعراء الشعبيون.

2- موضوعات الشعر الشعبي

لقد كان الشاعر الشعبي ناجحا في إدراك دوره ومعرفة الرسالة المنوط بها، فكان أكثر التصاقا بمجتمعه وبما يحدث أو يدور فيه، وما يشغله من قضايا وموضوعات. كما كان أقرب إلى بيئته، مما أعطاه القدرة على فهم طبيعة أساليب الحديث فيها، وطرق التخاطب بين أهلها، وما يستحبونه من ألفاظها وعباراتها، وما يستكرهونه من صيغ التعبير والكلام.

فوق كل هذا، فقد تحقق للشعر الشعبي - إلى حد بعيد – أن تساير لغته حركة التطور العامة، والتي عجز الشعر الفصيح عن بلوغها أو تحقيقها في بعض مجالات الحياة اليومية. وكان أكثر التصاقا بواقعه فكرا وتصورا، وحياة ومعاناة، أكثر من الواقعيين أنفسهم، وحقق قبلهم ما يرون من ضرورة تبسيط اللغة الشعرية إلى درجة فهم العامة من الناس. ألم يقل أحدهم: "إذا كان الشعر تعبيرا عن تدفق العواطف والانفعالات، فإن اللغة التي تناسبه هي اللغة الطبيعية العادية، التي توجد على ألسنة الطبقات الدنيا وأهل الريف؟"[6] وهكذا يكون هذا النوع من الشعر قد حقق فكرة أن تيار الشعر ملازم لفكر وثقافة وحضارة كل مجتمع من المجتمعات العربية عبر العصور السالفة.

إن الشعر الشعبي في الجنوب الغربي الجزائري استطاع أن يطرق أغلب الموضوعات التي تخطر على البال. لقد تناول موضوعات جادة تتعلق بالتاريخ الجزائري والمقاومة والثورة التحريرية، والقضايا السياسية، والأمور الاجتماعية المتعلقة بالأمة والمجتمع، وبالأفراد والعائلات والقبائل، والآفات الاجتماعية، والخصومات، والقضايا العاطفية والحب والكراهية، كما تناول أمورا بسيطة واستطاع أن يقدمها في حلة فنية راقية، مهما صغرت قيمتها، كما فعل الشيخ علي بلعيد مع موضوع المرآة وموضوع الحمام. كما تناول موضوعات هزلية مثل موضوع الشاي والقهوة. وهو في كل هذا ينشد الإصلاح والتوعية، وإن كان لا يغفل المتعة الفنية الشعرية، والأسلوب الجميل والتصوير الرائع والإيقاع الأخاذ. وإليك نماذج من ذلك:

1.2- التاريخ:

يعتبر التاريخ الجزائري من أهم الموضوعات التي شدت انتباه الشعراء فانبروا يسجلون الأحداث والقضايا، سواء كانت ذات طبيعة وطنية أو محلية أو قبلية، وحتي على مستوى العائلات والأفراد في بعض الأحيان. ومن ذلك:

يقول الشاعر علي بلعيد (من مدينة بشار):

بِسْم الله بْدِيتْ قَـــوْلِي يا الَاخْوَانْ في تارِيخْ بْلادْنَا نَعْطِي نَظـــرَة
لَلْجَزَايَرْ مَجْدْ خَالَـــدْ فَالزَّمَـــانْ فَالْكُتُبْ اخْبَارْ عَنْهَا مَنْـــشُورَة
مَنْ قَبْلْ المَسِـــيحْ لِهَا صَوْلَجـــَانْ كَذَا مَنْ ثَوْرَاتْ فِيهَا مَشْـــهُورَة
اسْتَقْرَا تَارِيـــخْهَا تَلْقَى البُرْهَـــانْ تَتْفَهَّمْ مَضْمُونْ هَذا الأُسْـــطُورَة
مَنْ لُصُوصْ اسْبَانْيَا وْدُهَاةْ الرُّومَانْ فَوْقْ الأَطْلَسْ كَانْ لِهُمْ مَجْـــزَرَة
نَفْتَخَرْ بَامْثَالْ عُقْبَة فَالفُرْسَـــانْ لْدِينْ الإِسْلامْ صَالْ بَابْطَالْ النَّعْرَة
أَرْبَعْطَاعَشْ ثَابْتَة فِي شَهْرْ جْـــوَانْ دَخْلَتْ أَرْضْ بْلَادْنَا قَوْمْ الغَـــدْرَة
1800 فَالْعـــــُدُو مَا كَانْ امَـــانْ وْعَامْ ثْلَاثِينْ فِيهَا مـــــذْكُورَة

2.2-الشعر الثوري ووصف جرائم الاستعمار:

واكب الشعر الشعبي الثورة فكان بمثابة الإعلامي الذي يصف الأحداث ويسجل الوقائع، ويبرز شجاعة المجاهدين، ويكشف نذالة الخونة، ويدون جرائم الاستعمار.

يقول الشاعر جماعي امحمد (من مدينة العبادلة):

ذَاكْ النْهَارْ لَمُّوا الغَـاشِي طَارْ الصْحِيحْ وَبْقَى الرَّاشِي
الآخُرْ فِي سْلُوكْ مْـطَاشِي مَكْرُوزْ فِي جْوَى الحِيـــطَان
ذَاكْ النْهَارْ صَارَتْ غَمْرَة تْلَاتْ حْتَى النَّعـــــْمَة مُرَّة
البَزْ والنْسَا مَحْجُـــورَة مَتْحَاذْيِينْ لَلْبَكْيـــــَان
جَابوا الكَامْيُون هَزُّوهُمْ بَزَّافْ نَاسْ اللّي كَتْـلُوهُمْ
الَاوْلَادْ مَا تْسَامَحْ بُوهُمْ وَلَا يْكُونْ شِي غُـــفْرَانْ
فرَنْسَا فِينَا تَحْـــلَفْ قَعْدَتْ فَالْفُلْقْ تْخَـــالَفْ
تْظَلْ فَالسْـلُوكْ تْكَرَّفْ ويْعَقْدُوهْ فِي البِـــــيكَانْ

3.2-المرأة والحب:

اهتم الشعراء الشعبيون بالمرأة، خاصة منهم الشباب، فتحدثوا عن حبهم لها، وأفصحوا عن خبايا عواطفهم ومشاعرهم تجاهها كمحبوبة، وذكروا آلام الفراق وأوجاع البعاد.

يقول عباس محمد بلعيمش (من العبادلة):

بَعْدْ التْفَاقْ وَالجَارْ بَعْدُوا نَاسْ عْقِيدَة مَنْ وْهَامْ بَشَّارْ شَرْقُوا يَا وَدِّي
مَا تْلَاوْ قْبَالِي بَالسَّالْبَة دْلِيـــــــلِي فْرَاقْهَا ذَبَّلْ حَالِي كُلْ يَوْمْ تَفْكَارْ

بَعْدُوا بُوسَلَّالِي مَالْحْ الغْـــــــوَالِي شَبْةْ المُهْرْ الغَالِي عَيْنْ بَازْ لَوْعَارْ

4.2-الخصام والشتم:

لاشك أن المجتمع مليء بالتناقضات وتشابك المصالح والاختلاف في الرؤى، مما يؤدي في بعض الأحيان إلى التصادم والخصومات، والشعراء ليسوا في منأى عن ذلك. وإذا حدث فإنهم سيدافعون عن أنفسهم بهجاء من ظلمهم.

يقول علي بلعيد:

مَنْ قْدَحْ فِي عَرْضِي بَالكَذْبْ كُنْتْ عَطَّابُو جْهَامْتُو يَلْعَبْ بِهَا المَوجْ فَالبْحَرْ

فِي ذْرَاعُو ثُعْبَانْ شْبَابْ غَوْصَتْ نَابُو مْحَدَّة مَسْمُومَة مَا مَسْهَا كْدَرْ

خَصْ ذَا الرَّادِي لَهْ عَطَّابْ حَطْ نَشَّابُو مَكْنُو ضَرْبَة بِهْ القَلْبْ يَنْفْجَرْ

آشْ حَازَكْ تَتْعَدَّى صُورْ لِيهْ بَوَّابُو فِي بْرُوجْ مْدَافَعْ لَلرَّدْ فَالخْطَرْ

مَنْ ظْلَمْنِي مَنْ غَيْرْ اسْبَابْ جِيتْ لَعْقَابُو كَالنْسَرْ فِي صَيْدَهْ بَالفُمْ وَالظْفُرْ

وْكَانْ مَانِي خَايَفْ رَبِّي وْحُرْمَةْ كْتَابُو مَا نْقَصَّرْ فَالوَصْفْ انْزِيدُو كْثَرْ

5.2-المرآة:

من الترف الشعري الذي يميز الشعراء الشعبيين أنهم قد يتناولون موضوعات ليست ذات أهمية، بل قد تكون من أبسط ما حولنا من الأشياء، فيعطونها اهتماما من باب الترف الفكري، وينظمون فيها شعرا. وهذا ما فعله الشاعر علي بلعيد مع المرآة، إذ قال:

المْرَايَا يَا خُوتِي صَانَعْهَا إنْسَـــــــانْ مَنْ قَدِيمْ الزَّمَانْ مَازَالَتْ حَيَّة

دَخْلَتْ عَنْدْ الضْعِيفْ وَالقَوِي والسُّلْطَانْ تسْكَنْ فِي كُلْ بَيْتْ مَادَامَتْ فَالدُّنْيَا

حَسَّكْ مَعْرُوفْ يَا مْرَايَا فَالـــــبُلْدَانْ حَارَتْ فِيهَا العْقُولْ حَاكَمْ وَرْعِيَة

مَا جِيتِي جَنْ خَايْفَة شَرّْ وْلَبْـــــدَانْ ما جِيتِي أنْسْ دَارْ حَسْنَة وَالسَّيَّة

ما جيتي مَاشْيَة نْقُولُو ذَا حَيـــــوَانْ ما جيتي زَاحْفَة بْسَـــمَّكْ مَسْقِيَة

ما جيتي مَنْ الطَّيْرْ بْرِيشْ وْجَنْحَـــانْ شَاقْ لَرِّيحْ وَالسْمَا لِيهْ مْطِيـــة

ما جيتي مَنْ الصُّوفْ والقطنْ وْكَتَّانْ ما جيتي مَن مْعَادَنْ الحديدْ قْوِيَة

ما جيتي مَن الحُوتْ وَحْقُولْ المُرْجَانْ ما جيتي شِي مَا نْعَرْفُ لِهْ سْمِيَة

ما انْ كَثَّرْتْ مَنْ سْوَالِي يا فَطَّـــانْ لابُدْ نْبُوحْ لِيكْ بْصَدْقْ وْنِيَـــة

أنا نَعْمَة مْنَ النْعَايَمْ لِيَ شَـــــانْ حَدَّثْ عَنِّي وْعِيدْ هَاذْ الوَصِيـــَّة

أنا فِيَا الوْجُوهْ تَنْظُرْ يا فُـــلانْ وَتْحَقَّقْ ما تْرِيدْ يا سَامَـــــعْ لِيَ

نَشْهَرْ نَوعْ اللْبَاسْ بَالقَدّْ الفَـــتَّانْ يَغْرِي النْفُوسْ بَالرْشَاقَة مَرْضِـيَة
ما نَمْرَضْ ما تْأَثْرْ عْلِيَ لَحْـــــزَانْ لَعْجَاجْ مْعَ الضْبَابْ هَدُولْ اعْدَايَا
حَاجَة وَحْدَة نْخَافْهَا بِلَا جُحْـدَانْ بَعْدْ انْ نَّكْسَرْ تْكُونْ مَوْتَة حَتْمِيَة

6.2-مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

يعتبر مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من أهم الأغراض الشعرية ومن أقدس الموضوعات التي يتناولها الشعراء الشعبيون، خاصة لما يتقدمون في السن، أو يحجون إلى بيت الله الحرام، فيقصرون شعرهم على المديح الديني، بل إن مدح الرسول يعتبر قاعدة شعرية إذ لابد أن تفتتح القصائد به قبل الخوض في موضوع القصيدة أو تختتم به. وهذه قصيدة للأستاذ مومن مزوري (صاحب المداخلة، جامعة بشار):

مُحَمَّدْ نُورْ عَيـــــْنِي أُسْتَاذِي صَلَاتُه وَاجْبَة عْلِينَا
صَلَّى اللَّه عْلَى الحْبِيبْ المُعَظَّمْ عَدَدْ اللِّي مَعْلُومْ واللِّي مَنْكُورَة
عَدَدْ مَا قْرَا الطُّلْـــبَة والمُعَلِّمْ عَدَدْ اللِّي فَي الكَوْنْ وَالكْتُبْ المَذْكُورَة
صَلِّي عْلِيهْ وْزِيـــــــدْ وْسَلَّم عَدَدْ النْجُومْ وَالرْمَالْ المَنْثُورَة
سَيِّدْ مَكَّة مْعَ المْدِينَة
صَلَاةْ الرَّسُولْ زَيْنَة يَا لَجْوَادِي مَا احْلَاهَا فِي فُمِّي حْنِينَة
ذِكْرْ النَّبِي عْبَادَة يَا لَسْـــيَادِي صَلَاتُه وَاجْبَـــة عْلِينَا

7.2-الوالدين:

مجتمع الجنوب الغربي مجتمع محافظ، يحرص على الأخلاق الفاضلة، ويعلي من شأن القيم النبيلة، ولذلك فالناس هنا يتميزون بالكرم والصدق والوفاء وعدم الغدر وبالشجاعة ونصرة المظلوم والذود عن الحمى واحترام وتقدير الشيوخ والنساء، ومن احترام الكبير رجلا كان أم امرأة تقبيل رأسه. أما طاعة الوالدين وإنزالهما المنزلة اللائقة بهما فهي عمود تلك الأخلاق. وفي ذلك يقول الشاعر علي بلعيد:

يَا ذَا العَرْشْ المكِينْ يا اللِّي ما تَرَاكْ العَيْنْ
يا مولانا غَطِّي بْرَحْمْتَكْ رُوحْ الوَالِدْين
أنْتَ النَّازَلْهُمْ فَي الكْتَابْ هُم العَزّْ وهُم الاحْبَـــابْ
قَولْ الله مَا بَعْدُ صْوَابْ خَالَقْهُمْ نَبْعْ حْنِيـــــنْ
نَجِّيهُمْ مَنْ هَوْلْ العْذَابْ يَوْمْ الصِّرَاطْ مْعَ الحْسَابْ

وَاجْعَلْ لِهُمْ ثَمَّ حْجَابْ يا رَبُّ العَالَمِيـــــــنْ
يَوْمْ انْ كُنَّا صَبْيَة صْغَارْ ذَاقُوا لَلْمَحْنـــــة والمْرَارْ
صَبْرُوا لَلْقَهْرَة وَالغْيَارْ في حَقَّكْ يا مَسْـــــكِينْ
عَنْدْ فْرَاشَكْ بَاتُوا صْهَارْ رَقْدُوا إلى لَطْلُوعْ النْهَـــارْ
يَكْوِيهُمْ صَهْدْ بْلَا جْمَارْ وَ الدَّمْعْ عْلَى الخَـــــدَّينْ

8.2-الشعوذة:

ما دام أن المجتمع عبارة عن طبقات من الناس، يتفاوتون في درجات العلم والمعرفة، ويتمايزون في المستوى الثقافي، ويتفاوتون في مستوى الذكاء والغباء، فإن قبول بعضهم للأفكار الساذجة والخرافات والشعوذة يكون أسهل من غيرهم. ولهذا انتشرت مظاهر الشعوذة في الأوساط التي يعمها الجهل والأمية، فيلجأ مثل هؤلاء للمشعوذين طلبا لحل مشاكلهم وتحقيق أحلامهم. وفي هذا يقول الشاعر علي بلعيد ما يلي:

يا فَاهَمْ النْسَا غَلْبَتْهُمْ غَلْبَة نوصِيكْ كُنْ مَنْهُمْ حَاذَرْ فَطَّانْ
كَالمُوسْ يَجْرْحُوكْ بْلا ما تَعْبَا بَمْضَاهْ ما تْفِيقْ حَتَّى الدَّمْ يْبَانْ
وَحْدَة مْشَاتْ لَعْجُوزَة مَنْكُوبَة تَشْكِي لْهَا القَلْبْ مْغَيْلَفْ غَيْظَان
يا عَمْتِي تْصَنْعِي لِي ذَا الرَّغْبَة الزَّوْجْ رَاهْ ذَوَّقْنِي كُلْ امْحَان
في كُلْ يَوْمْ مَعْيَارْ بْلا سَبَّة في وَقْتْ ما دْخَلْ عْلِيَ زَعْفَان
لْوِيزْتِينْ رَاهَا لَكْ مَكْتُوبَة إلَى انْتِ قْهَرْتِ هَذَا الثُّعْبَان
هَذِي السَّاهْلَة مَنْ طَبْ العَشْبَة كُونِي مْهَنْيَة يا مِيرْ الغُزْلان
سَحْرِي يْكَتْفُه ماشِي كَالطُّلْبَة يَدُّوا الفْلُوسْ مَنْ غَيْرْ تْعَبْ بَمْجَان
جِيبِي بَالعْجَلْ فَرْعْ مْنَ الشَّيْبَة وَالوَرْدْ و السْنَا وَ عْرُوقْ الرَّيْحَان
لُوبَانْتِينْ وَ مْنَ الفُوزَة حَبَّة تَارَة مْعَ الحْبَقْ وَبْخُورْ السُّودَان
دُقِّي حْتَى تْصِيرْ الدَّرْسَة رَطْبَة لَلْكُلْ غَرْبْلِي فِي خَرْقَة كَتَّان
وَمْعَ الصْبَاحْ دِيرِي لَهْ فَالشُّرْبَة مَنْ بَعْدْ يَومْ يَظْهَرْ لِيكْ البُرْهَان

9.2-المعيشة:

إن التغيرات والتطورات التي تمس الأوضاع السياسية والاقتصادية لا شك تؤثر سلبا أوإيجابا على الأحوال الاجتماعية. فإن كانت سلبية فإنها ستنعكس على حياة المواطنين، فتصعب المعيشة، ويظهر الغلاء، ويبرز العوز، وترتفع نسبة البطالة، ويسقط المجتمع في

أوضاع لا تحمد عواقبها. ولأجل ذلك وجدنا الشعراء الشعبيين يتصدون لمثل هذه المظاهر ويحذرون منها، وهم ينشدون من وراء ذلك الخير لمجتمعاتهم. وفي هذا قال الشاعر علي بلعيد:

المْعيشَة حالْها صْعابْ عْلَى الْمَسْكِينْ واللّه مُعِينْ يا الخَاوَة
الدّنْيا صَرْفْـها تْبَـدَّلْ دْخَلْ فيـها حْسَابْ طَاقْ عْلى مَنْ طَاقْ
مَا ثَمَّة قَاعْ مَا تْسَوَّلْ والصَّـحْ مَنْ الَكْـلامْ ما تَـرَى الَارْمَاقْ
وابْنَ آدَمْ كِيفْ كَانْ نَشْغَلْ ما صُبْنَا ما نْخَيْطُو في ذَا التَّشْرَاقْ
وَتْغَيَّرْ لِينْهَا قْسَاوَة
مَنْ لا حَمْلُوا سْوَاعْدُه مَنْ حَيْطْ مْتِينْ ما يَرْفَدْ نَجْمةْ السْرَاوَة
الَمْحَـطْ بْعِيـدْ والمْزَايَـرْ مَجْبُودِينْ واللّه مُعِيـنْ يا الخَاوَة

10.2-غلاء المهور:

إن من أسباب عزوف الشباب عن الزواج غلاء المهور، حتى صار الزواج عند البعض ضربا من الخيال، لما يكلفهم من نفقات باهظة، ولما يترتب عليه من ديون، حتى صارت المرأة كسلعة تساوم وتباع. بل إن بعض الآباء لَيترَزَّقون من زواج بناتهم. ولهذا قام بعض الشعراء الشعبيون يحاربون هذه الظاهرة. ومن ذلك ما قاله الشاعر علي بلعيد:

يَا بَايَعْ بَنْتَكْ فِي اسْوَاقْ الخُطَّابْ دْلَالَة تَحْسَبْهَا سَلْعَة كِي تْزِيدْ عْلِيهَا بَالمَالْ
ظَانْهَا تَغْنِيكْ يا سلِيلْ القَوْمْ البُخَلَا مُخَالَفْ لَعْوَايْدْ العْرَبْ مَتْقَطَّعْ الَاوْصَالْ
اطْلُبْ ما يَكْفِيكْ عَنْدْ لَجْوَادْ اهْلَا وَسَهْلَا والحَشْمَة وَالعَارْ دَرْتْهَا مَنْ ثَوْبَكْ سَرْوَالْ
الخَصْلَة مَاهِيشْ مَنْ طْبَاعْ النَّاسْ النُّزَالَا والطَّمَّاعْ ذْلِيلْ طَاحْ قَدْرُو بَيْنْ الرِّجَالْ
الرَّادِي مَعْرُوفْ يْعَيْطُوا لِهْ النَّاسْ حْثَالَة النَّعْلَة وَالشَّتْمْ في اعْقَابُو رَاهَا تَنْسَالْ
مَنْ هُو صَنْدِيدْ شَاعْ خَبْرُو في كُلْ عْمَالَة والزَّاعَمْ يَنْهَابْ كَالسْبَعْ وَلَوْ في الَاكْبَالْ
المَسْكِينْ ضْعِيفْ كِيفْ يَعْمَلْ مَنْ هَاذْ الحَالَة رَاهْ اليَوْمْ صْعَابْ بَاشْ يَبْنِي لَه بَيْتْ حْلَالْ
وِينْ مْشِيتْ تْجِيرْ فَالمُدُنْ وَلَّا فَالرَّحَّالَة هَذَا مَرْضْ صْعِيبْ صَابْهَا سَلْكُوا نَاسْ قْلَالْ

11.2-فلسطين:

تمثل فلسطين قضية جوهرية بالنسبة للعرب والمسلمين، وخاصة الجزائريين، لما تتميز به من قداسة، ولما تمثله في تاريخ الإسلام والمسلمين. ولا يزال الصراع مستديما بين المسلمين واليهود الصهاينة مستمرا، إلى أن يحقق المسلمون غايتهم في تحرير الأرض. ولما كان

الجزائريون أكثر اهتماما ونضالا مع إخوانهم الفلسطينيين لتحقيق ذلك الهدف، فلا عجب أن تحظى فلسطين بالكثير من الشعر الجزائري. وهذه قصيدة عنها للشاعر همال بشير (من بشار الجديد):

بِيَا فلسطين وَتْرَابْ الجُدُودْ تِرَابْ العَزّْ والعْرَبْ وَالمُسْلِمِينْ
هَادُو خَمْسِينْ عَامْ فَاتُوا عَنْهَا سُودْ مَنْ جَبَرُوتْ الصْهَايْنَة والحُكْمْ الشَّينْ
ذَاقُوا فِيهَا المُرّْ وَالذُّلّْ المَقْصُودْ بَعْدْ انْ كَانُوا اسْيَادْ عَادُوا مَهْوُنِينْ
وِيلَا رَبّي بْغَا عْلَى التَّارِيخْ يْعُودْ وَيْعُودْ كِي صَارَتْ قَبْلْ أَلْفْ وْمِيتِينْ
كِيفَاهْ صْرَا لْشَارْلْ قَلْبْ الأُسُودْ خْرَجْ بَرْفَاقْتُو وْجَيْشُو مَهْزُومِينْ
وَاطْلَقْ رَبّي سْرَاحْهَا مَنْ كُلْ قْيُودْ حَرَّرْهَا قَايْدْ العْرَبْ صَلَاحْ الدّينْ
بِلَادْ الأَنْبِيَاء المَسِيحْ وْدَاوُودْ وَبْلَادْ القُدْسْ أُولَى للقِبْلَتَيْنْ
صَلَّى فِيهَا بَالأَنْبِيَاء سَيّدْ الوُجُودْ مُحَمَّدْ صَاحْبْ الشْفَاعَة نُورْ الدّينْ

إن هذا النوع من الشعر لا ينفك يجاري الشعر العربي الفصيح في الاعتناء بموسيقى الشعر، وإعطائها مكانتها اللائقة ، سواء على صعيد الموسيقى الداخلية أوالإيقاع . فقد أثبت لها قيمتها من خلال مقدرة شعرائه على حسن التنظيم والتطبيق على طبيعة الكلمة العربية ومدى صوتية الحرف فيها، وقدرة هذه الحروف في حالة تركيبها على خلق نموذج موسيقي يعطي للغة مدلولها الصوتي.

هذا النوع من الشعر لا يقوم على التفعيلة وما يعرف بالبحور الخليلية التي ميزت الشعر العربي الفصيح، قديمه وحديثه، وإن كان يشارك القديم منه في الإنشاد، وفي كونه سمعيا يعتمد على ما تلتقطه الأذن، لا ما تطالعه العين. ولهذا تلعب المشافهة والإنشاد دورا كبيرا في المحافظة على موسيقى هذا النوع من الشعر.

يعتمد الشعر الملحون في الجنوب الغربي الجزائري، كما في كثير من المناطق الجزائرية الأخرى، على إيقاعات خاصة، ترتكز على النغمة والتنغيم والنبر. والإيقاع فيه تكرار منتظم، قد يكون تكرار حرف أو لفظة أو عبارة على أبعاد متساوية، وقد تكون غير متساوية أحيانا. وهو على كل حال شكل من أشكال التنسيق يضمن للعبارة التوازن وحسن الرصف.

***-خاتمة**

إن الشعر الشعبي في منطقة الجنوب الغربي الجزائري سماعي في غالبيته، يستدعي التقرب من بيئته، ومن مبدعيه، ليتسنى فهمه. كما لا بد من التفكير في طريقة أنجع لتدوينه. وهو أكثر التصاقا بواقعه، فكرا وتصورا وحياة ومعاناة.

لغة الشعر الشعبي في هذه المنطقة بسيطة طبيعية وعادية، لكنها تحقق المتعة الفنية على مستوى البناء والتصوير والإيقاع. وألفاظها إما أن تكون عامية كلية لا نجد لها في العربية الفصحى أصلا، وإما أن تكون فصيحة بالوضع فقط دون الدلالة، أو بالوضع والدلالة معا. وهي مع كل ذلك تتماهى مع الموضوعات التي يطرقها الشعراء، فتحقق انجذاب السامع، وشد انتباه المتلقي.

إن الشاعر الشعبي في هذه المنطقة قد يكون أميا، ورغم هذا لم يمنعه ذلك من تقييم نفسه وإنتاجه، ونجح نجاحا يستدعي التقدير في تقليد كل أغراض الشعر العربي، وتمكن من طرق معظم الموضوعات التي تناولها شعراء الفصحى، بل لقد تفوق عليهم في طرائق عرض بعضها. كما استطاع أن يساير الكثير من تقنيات نظم الشعر القديمة منها والمعاصرة.

***-الهوامش والإحالات**

[1] علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979، ص 33

[2] محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 48

[3] عز الدين منصور: دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، ص 65

[4] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[5] سمير أبو حمدان: الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات دار عويدات، بيروت، ط1، 1991، ص 11

[6] شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص 55.

المصادروالمراجع

1- سمير أبو حمدان: الإبلاغية في البلاغة العربية، منشورات دار عويدات، بيروت، ط1، 1991، ص 11

2- شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1986، ص 55
3- عز الدين منصور: دراسات نقدية ونماذج حول بعض قضايا الشعر المعاصر، ص 65
4- علي جواد الطاهر: مقدمة في النقد الأدبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1979، ص 33
5- محمد مصايف: دراسات في النقد والأدب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 48
6- القصائد نقلا عن الشعراء مشافهة أو عن الرواة.